



مطبوعات المجمع

آثار الإمام ابن قسيم الجوزية وما لحقها من أعمال

(١٥)

عُدَّة الصَّالِحِينَ وَرِجَالُ الشَّاكِرِينَ

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قسيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق

إسماعيل بن عازي مرجبا

إشراف

بكر بن عبد الله الجوزي

تمويل

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار الفوائد
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَاجِعَ هَذَا الْجُمُوعَةَ

سليمان بن عبد الله العمير

محمد بن أحمد الإصلاحي

علي بن محمد العمران



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية
الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ

دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

مكة المكرمة ص.ب ٢٩٢٨ هاتف ٥٥٠٥٣٠٥ فاكس ٥٥٤٢٣٠٩



الصف والإخراج دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران / ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء / ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب /

٧٠ - ٧١].

أما بعد؛ فقد جعل الله تعالى للصبر الثواب الجزيل، والأجر العظيم، في آيات من الذكر الحكيم، وأحاديث رسول الله ﷺ، وجاء فضله في آثار الصحابة والتابعين.

كما أن للشكر فضله الذي لا يخفى، وهو مع الصبر كفرسي رهان وكجناحي الطائر.

لذا فقد كثرت الكتابات فيهما واستفاضت، فتكلم فيهما الفقهاء والمحدثون والأدباء والشعراء، حتى كتب في ذلك العلماء مصنفات مفردة مستقلة، فقد صنف أبو الحسن علي بن عبيدالبغدادى الكاتب أحد

الأدباء والبلغاء، المتوفى سنة تسع عشرة ومائتين (٢١٩هـ) كتاب الصبر^(١)، وهذا الإمام عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا المتوفى سنة إحدى وثمانين ومائتين (٢٨١هـ)، أفرد الصبر بكتاب، والشكر بكتاب آخر^(٢).

وما زالت أقلام الأدباء والفصحاء والعلماء والوُعَاظ لا تكاد تجف من التأليف في هذا الباب إلى عصرنا هذا.

وكان ممن كتب في ذلك فأحسن، وجمع فأجاد، ونظر فحقق، الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية في كتابه الذي عملت على تحقيقه وهو: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين».

وقد قدمت بين يدي الكتاب بعددٍ من المباحث، وبالله وحده الإعانة والتوفيق.

(١) انظر: الفهرست ص ١٧٣.

(٢) وكلاهما مطبوع.

المبحث الأول: اسم الكتاب، وضبطه:

نصَّ ابن القيم على اسم مؤلِّفه هذا في مقدمته حيث قال: «وسميته: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين».

إلا أنه وقع في المخطوط الأصل اسم الكتاب على ورقة العنوان هكذا: «كتاب عُدَّة^(١) الصابرين وذخيرة الشاكرين في الصبر والشكر».

أي بزيادة: «في الصبر والشكر».

أما النسخ الثلاث الأخرى، فقد جاء اسم الكتاب فيها على صفحة العنوان مطابقًا لنص ابن القيم على تسميته.

وهذه الزيادة لا تضر، ولا تُعدّ خلافًا في اسم الكتاب، إذ هي عبارة عن بيانٍ وتوضيحٍ لمضمون الكتاب ومحتواه، والله أعلم.

بل قد تكون لهذه الزيادة فائدةٌ في بيان سبب وهم الحاج خليفة في جعله هذه الجملة كتابًا آخر لابن القيم حيث قال:

في كشف الظنون ٢/١٤٣٢ ما يلي: «كتاب الصبر والشكر لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة».

مع أنه ذكره باسمه التام «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» في ١١٢٩/٢.

(١) هكذا جاء مضبوطًا فيه، وسيأتي التنبيه عليه.

أما ما ذكره إسماعيل باشا في كتابه هدية العارفين ١٥٨/٢ ضمن مؤلفات ابن القيم بعنوان: «كتاب الصبر والسكن». وتبعه عليه جماعة ممن كتب في ترجمة ابن القيم، منهم: أحمد عبّيد^(١)، ومحمد الفقي^(٢)، ومحمد مسلم الغنيمي^(٣)، وغيرهم. فيظهر أنّ كلمة «السكن» مصحفة من «الشكر»، إذ هما قريبتان في الرسم، كما لا يخفى.

وهذا يعني أنه هو الكتاب السابق الذي ذكره حاجي خليفة بعنوان «الصبر والشكر»، وهو بالتالي «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، والله أعلم.

وقد يختصر العلماء اسم الكتاب فيقولون: «عدة الصابرين» حسب، وقد ذكر عنوان الكتاب مختصراً ابن رجب^(٤)، وتبعه الداودي^(٥)، وابن العماد^(٦)، والقنوجي^(٧).

أما ضبط اسم الكتاب:

فقال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في كتابه «ابن قيم الجوزية: حياته، آثاره، موارده»: «والمستفيض في ضبط عين (عدة) هو كسرهما

-
- (١) في مقدمته لكتاب روضة المحبين ص/ش.
 - (٢) في مقدمته لكتاب إغائة اللهفان (ص٣٤).
 - (٣) في كتابه: «ابن القيم» ص١١٦.
 - (٤) في ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢.
 - (٥) في طبقات المفسرين ٩٦/٢.
 - (٦) في شذرات الذهب ١٧٠/٦.
 - (٧) انظر: التاج المكلل (ص٤١٩).

مع فتح الدال المهملة مخففة، من الوعد، يُقال: وعده يعده عدة في الخير.

وهو ههنا بمعنى: ما وعده الله عباده الصابرين من الأجر الجزيل والثواب العظيم. وهذا يتناسب تمامًا مع الفصل الثاني للعنوان «ذخيرة الشاكرين».

ويصح أن يُقال: (عُدَّة) بضم العين وفتح الدال المشددة؛ لأنه يُقال لغة: أعدّ الشيء بمعنى هيأه وجعله عدَّةً للدهر، فيكون بمعنى: العدد والأسباب التي بموجبها يتسلح الصابرون، والله أعلم اهـ.

والحق - كما قال الشيخ - أن كلا الوجهين محتمل، وكذلك كلاهما متناسب مع الفصل الثاني من العنوان، فالذخيرة هي: واحدة الذخائر، وهي ما ادُّخر^(١).

ولعل من يُرجِّح الوجه الثاني يقول: إنه جاء هكذا مضبوطاً على صفحة عنوان النسخة الأصل، كما سبق.

وكذلك يمكن أن يُرجِّح الثاني على الأول من جهة أنه أعم من الأول، فوعدُّ الله تعالى وما ادخره للصابرين وللشاكرين، هو من ضمن العدد والأسباب التي بها يتسلحون، والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني: تاريخ تأليف الكتاب:

لم أقف على نصّ لابن القيم أو لأحد تلاميذه يحدد تاريخ تأليفه

(١) انظر: لسان العرب ٤/٣٠٢.

لهذا الكتاب .

ولم أقف على نصّ لابن القيم أو لأحد تلاميذه يشير إلى سبق هذا الكتاب لأحد من كتبه، أو أنه كُتب بعد كتاب ما من كتبه .

ولم أقف على إحالة من ابن القيم في أيّ من كتبه إلى هذا الكتاب .

ولم أجد ما يُساعد على ذلك أثناء تحقيقي للكتاب إلا ما كان من نقوله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، التي ستأتي الإشارة إليها في المبحث التالي .

فمن خلال هذه النقول نجزم بأن ابن القيم إنما ألفه بعد لقائه بشيخ الإسلام والاستفادة منه .

المبحث الثالث : إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه :

لا ريب في صحة نسبة هذا الكتاب للإمام ابن القيم، وذلك لأدلة متعددة، منها :

١ - نصّ عدد ممن ترجم لابن القيم على نسبة هذا الكتاب له، كما سبق في المبحث الأول .

٢ - النقول التي نُقلت عن الكتاب تُؤكد أن هذا الكتاب الموجود بين أيدينا هو الذي ذكر مترجموه أنه له . وسيأتي ذكر هذه النقول في المبحث .

٣ - ورود نسبة الكتاب إلى المؤلف في صفحات عناوين الأصول الخطية .

٤ - النقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية بعباراته المعروفة، ومن ذلك قوله في الباب السابع عشر: «أنكره شيخنا»، وقوله في الباب التاسع عشر: «وهذه طريقة شيخنا»، وقوله في الباب الثاني والعشرين: «وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه المسألة فقال»، وقوله في الباب الرابع والعشرين: «وسمعت شيخ الإسلام يقول».

٥ - التوافق والتطابق بين بعض مباحث الكتاب، ومباحث ابن القيم في كتبه الأخرى، وقد أشرت إلى بعض ذلك في حواشي الكتاب.

٦ - طريقة المؤلف المعروفة في عرضه وسياقه وترجيحه وتحريه للمسائل ظاهرة في الكتاب لا تخفى.

المبحث الرابع : أهمية الكتاب :

لما كان صاحب الكتاب هو أعلم الناس بحقيقته وأهميته ومكانته، لذا فإن ما يذكره المؤلف من ذلك هو أولى من بالاعتماد بدلاً من الاستنباط، وقد كفانا ابن القيم مؤونة ذلك حيث ذكر أهميته في مقدمته، وسأنقل ما ذكره مفصلاً في النقاط التالية:

١ - أنه «لما كان الإيمان نصفين: نصف صبر ونصف شكر، كان حقيقاً على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها، أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين، فلذلك وضع هذا الكتاب للتعريف بشدة الحاجة والضرورة إليهما».

٢ - أن فيه «بيان توقف سعادة الدنيا والآخرة عليهما» - الصبر والشكر -.

٣ - كون هذا الكتاب «كتابًا جامعًا حاويًا نافعًا، فيه من الفوائد ما هو حقيق على أن يُعزَّض عليه بالنواجذ، وتُثنى عليه الخناصر».

٤ - ومن أهميته أنه جاء «ممتعًا لقارئه، مريحًا للناظر فيه، مسليًا للحزين، ومنهضًا للمقصرين، محرِّضًا للمشمِّرين».

٥ - أنه جاء «مشملاً على نكاتٍ حسانٍ من تفسير القرآن»، و«على أحاديث نبوية معزوة إلى مظانها، وعلى آثار سلفية منسوبة إلى قائلها».

٦ - ومن أهميته اشتماله على «مسائل فقهية حسان مقرَّرة بالدليل».

٧ - وكذلك فمن أهميته وجود «دقائق سلوكية على سواء السبيل، وذكر أقسام الصبر ووجوهه، والشكر وأنواعه، وفصل النزاع في التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر، وذكر حقيقة الدنيا وما مثَّلها اللهُ ورسولُه والسلف الصالح به، والكلام على سرِّ هذه الأمثال ومطابقتها لحقيقة الحال، وذكر ما يذم من الدنيا ويحمد، وما يقرب منها إلى الله ويبعد، وكيف يشقى بها من يشقى ويسعد بها من يسعد».

٨ - «وغير ذلك من الفوائد التي لا تكاد تظفر بها في كتاب سواه».

٩ - ومن أهميته أنه «كتاب يصلح للملوك والأمراء، والأغنياء والفقراء، والصوفية والفقهاء».

* * *

المبحث الخامس : العلوم التي حواها الكتاب :

العلوم التي حواها كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين متعددة ومختلفة، كما يلوح ذلك من خلال ذكر أهمية الكتاب في المبحث السابق .

١ - أما الموضوع الرئيس للكتاب والعلم الأساس الذي حواه، وهو الذي كُتب من أجله، فهو: علم السلوك والزهد، فمصنفه وضعه ليُعرف قارئه بالأسباب والعدد وما يمكن أن يدّخره السالك إلى الله والدار الآخرة؛ ليكون على أتم استعداد لمواجهة المحن والابتلاءات التي يمكن أن يواجهها، أو ليُعرفه بما وعده الله تعالى وما أعدّه له من جزيل الثواب وعظيم الأجر .

هذا، ولم يخلُ الكتاب من التطرق إلى علوم أخرى أراد بها المؤلف تحقيق ما يذكره، أو تأكيد ما يرجحه، أو توجيه ما يخالفه، ساعده في ذلك سعة علمه، وكثرة اطلاعه، ودقيق فهمه واستنباطه .

٢ - فتجد في هذا الكتاب من دقائق التفسير وفهم التنزيل، ما لا تجده في كتابٍ سواه، «فكان يستحضر من بحاره الزخّارة كل فائدة مهمة، ومن كواكبه السيارة كلّ نيرٍ يجلو حنادس الظلمة»^(١) .

فانظر في الباب الثالث والعشرين قول المصنف: «وقد حام أكثر المفسرين حول معنى هذه الآية وما أوردوا، فراجع أقوالهم تجدها لا تشفي عليلًا ولا تُزوي غليلًا، ومعناها أجل وأعظم مما فسروها به...» . وراجع فهرس الآيات التي فسرها المصنف .

(١) قاله الصفدي في مدحه لابن القيم في ترجمته من أعيان العصر /٤ /٣٦٧ .

٣ - وفيه من فقه السنة وتفسير الأحاديث والاستنباط منها ما لا يكاد يوجد في غيره من الكتب، ففي كلامه على حديث: «خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخفي»، قال: «وتأمل جمعه في هذا الحديث بين رزق القلب والبدن، ورزق الدنيا والآخرة وإخباره أن خير الرزقين ما لم يتجاوز الحد، فيكفي من الذكر إخفاؤه فإن زاد على الإخفاء، خيف على صاحبه الرياء والتكبر به على الغافلين، وكذلك رزق البدن إذا زاد على الكفاية خيف على صاحبه الطغيان والتكاثر». وللاستزادة من استنباطات المؤلف راجع الفهارس.

٤ - وفيه من علوم الحديث طرفٌ لا بأس به من تصحيح أحاديث وتضعيف أخرى. وانظر في ذلك فهرس الأحاديث التي صححها أو ضعفها.

٥ - كما حوى الكتاب بعضاً من مسائل الفقه مُستدلاً لها بالدليل.

٦ - كما ذكر فيه مؤلفه بعضَ مذهب السلف في التوحيد والعقيدة «فذاك عُسّه الذي منه درج، وغابه الذي أَلَفَهُ لَيْثُهُ الخادر ودخل وخرج»^(١).

٧ - وبعض مسائل العربية، التي تدل على سعة اطلاع المؤلف ومعرفته بهذا الفن، كيف لا وهو الذي «تبحر في العربية وأتقنها، وحرر قواعدها ومكّنها»^(٢).

(١) قاله الصفدي في أعيان العصر ٤/٣٦٧.

(٢) المصدر السابق.

المبحث السادس : مجمل ترتيب الكتاب :

أما ترتيب الكتاب، فكأن ابن القيم يكتب بمنهج كتابة البحوث المعاصرة، فنجده قد مهّد لكتابه هذا بمقدمة لطيفة يُستشف منها أسباب اختياره للكتابة فيه، ثم عقد فصلاً ذكر فيه أهمية كتابه ومزاياه، وأتبع ذلك بذكر خطة كتابه التي سار عليها، وهي تقع في ستة وعشرين باباً وخاتمة، ثم نص على تسميته لكتابه .

أما أبواب الكتاب، فكانت على النحو التالي :

خصص الأبواب من الأول إلى الثامن عشر للصبر وما يتعلق به من تعريفه وحقيقته وأسمائه بالإضافة إلى متعلقه، والفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة، وتقسيمه باعتبار محله، وبحسب اختلاف قوته وضعفه، وباعتبار متعلقه، وباعتبار تعلق الأحكام الخمسة به، وبيان تفاوت درجاته، وانقسامه إلى محمود ومذموم، والفرق بين صبر الكرام وصبر اللثام، وفي الأسباب التي تعين عليه، وبيان أن الإنسان لا يستغني عن الصبر، وفي بيان أشقّه على النفوس، وفيما ورد فيه من نصوص الكتاب والسنة والآثار، ثم أمور تتعلق بالمصيبة من البكاء والندب وشق الثياب ودعوى الجاهلية ونحوها .

ثم في الأبواب من التاسع عشر إلى الرابع والعشرين أدخل الشكر وأشركه في موضوع الكتاب، فتحدث فيها أن الإيمان نصفان صبر وشكر، وفي تنازع الناس في الأفضل منهما، ثم حكم بين الفريقين، وتكلم عن اختلاف الناس في الغني الشاكر والفقير الصابر، ثم ذكر حجة كلي .

وخصص الباب الخامس والعشرين لبيان أمور تضاد الصبر وتنافيه وتقدر فيه، وكأنه أراد إخراج من يقع في شيء من ذلك من الدخول في خلاف الأفضلية بين الفقير الصابر والغني الشاكر، فذكر أموراً قد تخفى على كثير ممن يدعي الصبر؛ من الشكوى إلى المخلوق والأنين والهلع.

ثم في الباب السادس والعشرين - وهو آخر الأبواب - أراد بيان فضيلة عظيمة لكل من الصبر والشكر، ألا وهي دخولهما في صفات الرب جل جلاله وأنه لو لم يكن للصبر والشكر من الفضيلة إلا ذلك لكفى.

ثم ختم الكتاب بخاتمة ماتعة، أراد فيها حث الناس وشحذ هممهم في مسيرهم إلى الله والدار الآخرة.

فمن خلال هذا الكتاب وما حواه من آيات كريمات، وأحاديث نبوية، وأثار سلفية، وتحقيقات مرضية، يستلهم الصابرون والشاكرون منها أخذ عدتهم وتهيئة أسلحتهم في مسيرهم في هذه الدنيا إلى الله والدار الآخرة، فكان هذا الكتاب بحق عُدّة للصابرين وذخيرة للشاكرين. والله تعالى أعلم.

ومع جودة ترتيب هذا الكتاب، وحسن سياق أبوابه، أسجل ملاحظتين هما:

الأولى: أن الباب الثامن عشر: وهو «في ذكر أمور تتعلق بالمصيبة من البكاء والندب وشق الثياب ودعوى الجاهلية ونحوها»، والباب الخامس والعشرين: «في بيان الأمور المضادة للصبر والمنافية له والقادحة فيه» كان يمكن دمجهما في باب واحد لتقارب موضوعهما.

ويظهر ذلك بالمقارنة .

الثانية: من الملاحظ أن المؤلف لم يُفرد للشكر بابًا مستقلًا، كما فعل في الصبر، حيث أفرد له بابًا في معناه واشتقاقه، وبابًا آخر في حقيقته، وغير ذلك .

فكما أن المصنف جعل عنوان الكتاب في فصلين، أحدهما للصبر «عدة الصابرين»، والآخر للشكر «وذخيرة الشاكرين»، كان من المتوقع أن يُفرد للشكر أبوابًا مستقلة كالتى أفردها للصبر، خاصة في الأمور التي ذكرها ضمناً كتعريف الشكر واشتقاقه، فكان من المناسب أن يفرد لذلك بابًا عنوانه: «معنى الشكر لغة، واشتقاق هذه الكلمة وتصريفها»، كما فعل في الصبر، وآخر عنوانه: «حقيقة الشكر وكلام الناس فيه»، كما فعل في الصبر .

لا سيما أن مضمون هذين البابين موجود في كلام المصنف في الباب الحادي والعشرين: «في الحكم بين الفريقين والفصل بين الطائفتين»، إذ قد ذكر فيه تعريف الشكر واشتقاقه وحقيقته وكلام الناس فيه . والله تعالى أعلم .

المبحث السابع: سمات الكتاب ومعالم منهجه:

بالنظر في الكتاب وجدت أن أهم سماته ما يلي:

١ - أن ترتيب الكتاب جاء ترتيبًا منطقيًا، كما سبق ذكره في المبحث السابق، فخلا الكتاب عن التكرار في المواضيع، أو تداخلها بعضها في بعض، إذا استثنينا الملاحظات في المبحث السابق .

٢ - أن ترتيب المصنف لكتابه كان على الأبواب، فيقول: «الباب

الأول . . .»، «الباب الثاني . . .» وهكذا.

٣ - أن ترتيب المواضيع داخل الأبواب كان ترتيباً منطقيًا أيضًا، ففي الباب الثامن مثلاً: «في انقسامه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به»، ذكر أن الصبر ينقسم بذلك إلى خمسة أقسام: واجب، ومندوب، ومحذور، ومكروه، ومباح، ثم أتى على ذكر هذه الأقسام واحداً تلو الآخر.

وفي الباب العاشر: «في انقسام الصبر إلى محمود ومذموم» ذكر أنه ينقسم إلى القسمين: مذموم وممدوح، ثم أتى على القسم الأول، ثم القسم الثاني.

وهكذا في سائر أبواب الكتاب.

٤ - من سمات هذا الكتاب أيضاً كثرة الفصول في كثير من الأبواب، ولذلك عدة أسباب منها:

أ - إذا أراد المصنف الانتقال من جزئية معينة من الموضوع إلى الجزئية التالية عقد فصلاً. فمثلاً في الباب العاشر: «في انقسام الصبر إلى محمود ومذموم» تكلم أولاً على الصبر المذموم، ولما أراد أن يتكلم على الشق الثاني من الموضوع، وهو الصبر الممدوح قال: «فصل: وأما الصبر المحمود فنوعان . . .» وذكرهما.

ب - عندما يريد ذكر فائدة أو نقطة مهمة لها علاقة بما يذكره، فإنه قد يعقد لذلك فصلاً تنبيهاً لذلك، كما فعل في الباب السادس: «في بيان أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه ومقاومته لجيش الهوى وعجزه عنه»، فلما ذكر أن لباعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى ثلاثة أحوال، قال في أثناء ذكره للحالة الثانية منها: «فصل: وها هنا نقطة بديعة يجب

التفطن لها...» وذكر هذه النكتة، ثم انتقل إلى الحالة الثالثة عاقدًا لها فصلاً جديدًا.

ج - وقد يعقد فصلاً من الفصول إذا عاد إلى الموضوع الرئيس بعد استطراد، كأنه يريد تنبيه القارئ على أنه قد رجع إلى إكمال ما كان بدأه، ومثاله في الباب الثامن.

د - عندما يريد التأكيد على أمرٍ ذكره أو يتعلق به، فإنه قد يعقد لذلك فصلاً، ومثاله في الباب السابع عشر.

هـ - ومن سمات الكتاب ومعالم منهجه الواضحة، كثرة الاستطرادات، ما بين طويل أو قصير، وقد يعتذر المؤلف عن طول الاستطراد بأهميته ونفعه.

وفي الباب الثالث والعشرين: «في ذكر ما احتجت به الفقهاء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار» بعد أن استطراد قال: «ولا تستطل هذا الفصل المعترض في أثناء هذه المسألة، فلعله أهم منها وأنفع، وبالله التوفيق».

٦ - وكذلك من سمات الكتاب محاولة المؤلف التوضيح والبيان للقارئ بحيث لا يدع شبهة إلا ويحاول كشفها، ويجتهد في ذلك اجتهادًا كبيرًا.

وفي الباب التاسع: «في بيان تفاوت درجات الصبر» عندما أراد بيان أن الصبر على فعل المأمور أفضل من الصبر على ترك المحظور ذكر لذلك عشرين وجهًا.

وفي الباب الثالث والعشرين «في ذكر ما احتجت به الفقهاء من

الكتاب والسنة والآثار والاعتبار»، عقد فصلاً لذكر أمثلة تُبين حقيقة الدنيا، فذكر اثنين وعشرين مثلاً.

٧- ومن معالم هذا الكتاب: توسع المؤلف في ذكر الأدلة والمرجحات ونحوها، بحيث يحاول استيعاب ما يمكن ذكره في ذلك. وأمثله في الباب الثاني عشر والخامس عشر.

٨- ومن معالم الكتاب عناية المؤلف رحمه الله تعالى الظاهرة بالتفسير وعلومه، كما سيظهر للقارئ بالنظر إلى فهرس الآيات التي فسرها المؤلف.

٩- ومنها أيضاً عناية المؤلف الكبيرة بالاستدلال بالأحاديث والآثار، وأقوال السلف.

١٠- ومن سمات الكتاب، عناية المؤلف التي لا تخفى باستشهاده بالآيات الشعرية. يُراجع فهرس الآيات الشعرية.

١١- ومنها اهتمام المؤلف بالترجيح بين الأقوال المختلفة، وعدم ترك الأمر دون تحقيق أو ترجيح أو توجيه للأدلة الواردة، وذلك واضح ظاهر.

المبحث الثامن: النقول من الكتاب:

لما كان موضوع الكتاب قد أُفرد بالتأليف والكتابة، وكُتب في موضوع الصبر والشكر ضمناً في فنون مختلفة؛ كان من الطبيعي أن تقل نقول العلماء من هذا الكتاب، إلا أنه لأهمية الكتاب وما فيه من

تحريرات وفوائد غزيرة لا توجد عند غير ابن القيم، قد أفاد بعض العلماء منه ونقلوا منه بعض الفوائد، وهذا ما وقفت عليه من ذلك .

١ - محمد المنبجي، في كتابه تسلية أهل المصائب (ص ١٨٥ و٢١٠، ٢١٦).

٢ - عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣٣)، في كتابه فيض القدير (١/٢٢٤، ٤٤٠) و(٤/٧٣، ٢٣٤، ٢٨٦)، و(٥/٤٢٨).

٣ - منصور البهوتي (ت ١٠٤٦) في كتابه كشاف القناع (ص ١٤).

٤ - سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٣٣)، في كتابه تيسير العزيز الحميد (ص ٥١٢، ٥٢٣، ٦٢٧، ٦٢٨).

٥ - عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٨٥)، في كتابه فتح المجيد (٢/٦٠٣، ٦١٤، ٧٢٩).

المبحث التاسع: الثناء على الكتاب:

قال العلامة الصنعاني (ت ١١٨٢) في «مختصر عدة الصابرين» (ق ١ - ٢)^(١): «فإني لما وقفت على كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين الذي ألفه فارس الحفاظ . . . رأيتُ كتابًا لم يُنْسَج على منواله، ولا سَمحت القرائح بمثاله، قد بثَّ فيه من درر الفوائد ما يحير الناظر، ومن كنوز الشوارد ما يغني البصائر، فهو جدير بأن يُصان في

(١) نسخة الجامع الكبير بصنعاء، تفضّل بتصوير ورقاتٍ منه الشيخ وليد الربيعي، ونقلنا منه هنا ما يناسب المقام. (علي العمران).

الأجفان وأن تكتحل بفوائده عيون الأذهان، حقيقٌ بقول مؤلفه في
ديباجته مثنيًا عليه: فجاء كتابًا حاويًا نافعًا . . .» وذكر كلام المصنف إلى
آخره .

ثم قال: «وقد كنت قلت عند الوقوف على محاسن ما فيه:

عُدَّة الصابرين إن نابَ خطبٌ وزمان الفتى كثير الخطوب
جمعت في غضونِها كل معنى فهي نعم الجليس للمكروبِ
كم بها من فوائدٍ فاغتنمها فنكات العلوم كنز القلوب
فارتشفها ثم اقتطف من رُبها وتضمخ بعطرها والطيب
ثم سرح أجفان فكريك إن كند ست فتى ناظرًا بفكر اللبيب
تلقَ فيها دواءَ جهلك بالصب ر وبالشكر من حكيم طيب
واضعًا للهنا في موضع النقد ب مزيلًا للبس والتنقيب
جالبًا للتحقيق في كل فنٍّ فتغنم من ذلك المجلوب
ياله من مؤلف حاز علمًا وأتانا بكل معنى غريب
فالليب اللبيب من أشعر القل ب من الصبر كل ثوبٍ قشيب
جاعلاً للدثار أثواب شكر نسجت بالترغيب والترهيب
ولعمري لم أختصره لحشوٍ قد حواه ولا لأمرٍ مريب
ثم قال:

فهو لا شك سلوة لحزينٍ ولذي الروح فيه أوفى نصيب
فتمسك به إذا شئت تلقى كل خطب بكل سيف ضروب» .

المبحث العاشر : موارد ابن القيم في كتابه :

يمكن تقسيم موارد ابن القيم في الكتاب إلى قسمين :

القسم الأول : الكتب التي نصّ ابن القيم على أسمائها .

القسم الثاني : الكتب التي لم ينصّ على أسمائها، بل ذكر أسماء مؤلفيها .

أما القسم الأول : الكتب التي نصّ على أسمائها :

الصفحة	اسم الكتاب ومؤلفه
١٥٠	بعض الكتب القديمة
١٥٢، ١٤٥	بعض المسانيد
١٧٢	بعض كتب الله سبحانه
٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤١	التمام - محمد بن محمد بن الحسين الفراء
١٥١، ١٥٠، ٦٠ وغيرها	جامع الترمذي
٤٢٠، ٣٣١	الزهد - أحمد بن حنبل
٥٣٩	السنة - اللالكائي
١٩٧، ١٨٩، ١٤٠ وغيرها	سنن أبي داود
١٥٨، ١٤٨، ١٤٢ وغيرها	سنن النسائي
٢٩٠	الصحاح للجوهري
١٤٦، ١٤١، ١٠٤ وغيرها	صحيح البخاري

٣٨٠، ٣٤٧، ١٤١	صحيح ابن حبان
١٥٢، ١٤٤، ١٤٠ وغيرها	صحيح مسلم
٢٢٨، ١٤٣	صحيفة عمرو بن شعيب
٤٦٤	الضعفاء - العقيلي
٢٦١	الفتوح - محمد بن إسحاق
٤٨	فتوح الغيب - عبد القادر الجيلاني
٤٢٤	المسائل - إسحاق بن هانئ
١٩١، ١٤١، ٩٧ وغيرها	المسند - الإمام أحمد بن حنبل
٥٣٠، ٢٣٧	المسند - الحسن بن الصباح
٣٧٩	المسند - الحارث بن أبي أسامة
٤٩٧	المسند - البزار
٣٩٩	المعجم - الطبراني
٣٠٩	الموضوعات - ابن الجوزي
١٥١، ١٤٩، ١٤٢	الموطأ - مالك بن أنس

القسم الثاني : الكتب التي لم ينصّ على أسمائها، بل ذكر أسماء مؤلفيها^(١) :

الصفحة	اسم العَلَم
١٨١، ١٣٨، ٤٧ وغيرها	* ابن أبي الدنيا
٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤ وغيرها	- (الشكر)
١٨٥، ١٨٤	- (الصبر)
١٥٩، ١٥٥، ١٥٤ وغيرها	- (المرض والكفارات)
٤٤٢، ٤٣٨، ٤٣٧، ٢١٣	- (ذم الدنيا)
٤٧٠	- (قصر الأمل)
٤٠٩، ٤٠٦	ابن الأعرابي (لعله تشریف الفقير على الغني)
٣٢٢	ابن الأنباري
٣٠٦، ٢٩٩، ٢١٠	ابن الجوزي
٣٤٩	ابن تيمية
٣٢٠، ٣٠٧	ابن حبان

(١) أذكر أحياناً إلى جانب العَلَم اسم الكتاب، إذا عثرت على النقل في ذلك الكتاب، وقد أكرر اسم العلم إما لاختلاف الكتاب أو لوقوفي أحياناً على إحالة في كتبه، وعدم وقوفي أحياناً أخرى.
على أنني لم أذكر اصحاب الكتب الستة وأحمد إذا كانت الإحالة على كتبهم لكثرة ورودها.

٥٣٩	ابن خزيمة
١٩٥	ابن عبدالبر
٣٤٨	ابن عدي (الكامل)
٣٣٥	ابن عقيل
٥٣٩	ابن منده (الرد على الجهمية)
٢٠٢	أبو البركات ابن تيمية
٣٠٦	أبو حاتم الرازي
٣٤٦	أبو سعيد بن الأعرابي
١٣٨	أبو عبيد القاسم بن سلام
٢٠	أبو عثمان الحيري
١٣٠، ٨٥، ٢٣، ٢٢	أبو علي الدقاق
٢٨٨	أبو عمر بن عبدالبر
٢٦٩، ٢٢	أبو محمد الجريري
١٢٩، ٦٥، ٥٤، وغيرها	* أحمد بن حنبل
٤٥١	- (الرد على الجهمية والزنادقة)
٢٣٩، ٢٣٧، ٢١١، وغيرها	- (الزهد)
١٨	الأصمعي

٥٢٦	بكر بن محمد
٣٤٦	البيهقي (السنن الكبرى)
٤٨٩، ٤٨٨، ٣٠٧	البيهقي (شعب الإيمان)
٩١، ١٩	الجنيد بن محمد
٥٣١	الجوهري (الصحاح)
٣٠٨، ٣٠٧	الدارقطني
٣٥٨	الزجاج
٤٠٥، ٢٦١	سعيد بن منصور
١٣٤	الشافعي
٤١٠	عبدالرزاق (المصنف)
٥١٣، ٤٢٥، ٣٩١، ٣٩٠، ٢٣٨	عبدالله بن أحمد (زوائد الزهد)
٤١١	عبدالله بن أحمد
٢٥٦، ٢٤٨، ٢٤٧ وغيرها	* عبدالله بن المبارك
٢٨٥، ٤١١	- (الزهد)
٢٨١	عبدالله بن وهب
٥٣٩	عثمان الدارمي (نقض عثمان بن سعيد)
٢٥١، ٢٢٧	علي بن الجعد

٣٢٠	الفراء
٥٢٥	محمد بن محمد بن الفراء (التمام)
٥٢٦	المروذي
٤١٠	معمر بن راشد
٢٨٠	مقاتل بن سليمان
٣١٢، ٣٠٨	النسائي
٥٣٩	الهروي شيخ الإسلام
٣٦٣	* الواحدي
٣٦٦	- (الوسيط)
٢٧٧، ٢٦٦، ١٧٨، ١٧٢	وهب بن منبه

* * *

المبحث الحادي عشر: بين ابن القيم في (العدة) والغزالي في (الإحياء):

كان الإمام الغزالي ممن كتب في الصبر والشكر ضمن كتابه المعروف «إحياء علوم الدين»، وذلك في الكتاب الثاني من ربيع المنجيات.

وقد استفاد ابن القيم من كتاب الغزالي هذا دون أن يشير إلى ذلك،

وذلك ظاهر لمن تأمل الكتابين .

وسوف أعرض هنا المواطن المتشابهة من الكتابين التي يغلب على الظن أن ابن القيم استفاد منها، وهي:

* في مقدمة الكتاب، عند بيان ابن القيم لأهمية الكتابة في هذا الموضوع قال: «فصل: ولما كان الإيمان نصفين: نصف صبر ونصف شكر...» إلخ، ثم بنى كلامه على هذه الجملة.

ومن نظر في «إحياء علوم الدين» يجد أن ابن القيم قد استعار هذه العبارة منه في مقدمة الكلام على الصبر والشكر (٥٢/٤) حيث يقول الغزالي: «أما بعد، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر...» إلخ.

بل إن الغزالي هنا أردف أمرًا ثانيًا لبيان أهمية الكتابة في هذا الموضوع، فقال بعد الكلام السابق: «وهما^(١) أيضًا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنی؛ إذ سمى نفسه صبورًا وشكورًا، فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهلٌ بكلا شطري الإيمان، ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن...».

وهذا الأمر أخره المصنّف إلى الباب السادس والعشرين، وهو الباب الأخير فقال: «الباب السادس والعشرون: في بيان دخول الصبر والشكر في صفات الرب جلّ جلاله، وتسميته بالصبور والشكور، ولو لم يكن للصبر والشكر من الفضيلة إلا ذلك لكفى به.»

(١) أي: الصبر والشكر.

* وفي الباب الثاني الذي هو: «في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه».

أقول: قد ذكر ذلك الغزالي في كتابه (٥٤/٤) في فصلٍ هو: «بيان حقيقة الصبر ومعناه: اعلم أن الصبر مقام...» إلخ.

وقد ختم ابن القيم بابه بأن حقيقة الصبر: «ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الشهوة والطبع» ثم شرحه شرحاً مجملاً.

وهذا الذي ختم به ابن القيم في بيان حقيقة الصبر، إنما هو ما استنبطه الغزالي في ذلك الفصل الذي ذكره في كتابه (٥٤/٤).

ثم أعاد ابن القيم ذكر هذه الحقيقة في الباب الخامس بقوله: «... فلا يُتصور في حقهم الصبر الذي حقيقته: ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الشهوة والهوى».

* وفي الباب الثالث الذي ترجمه ابن القيم: «في بيان أسماء الصبر بالإضافة إلى متعلقه».

قال ابن القيم في مُستهلِّه: «لما كان الصبر المحمود هو: الصبر النفساني الاختياري عن إجابة داعي الهوى المذموم، كانت مراتبه بحسب متعلقه...».

وقد عقد لذلك الغزالي في كتابه (٥٧/٤) فصلاً فقال: «بيان الأسماء التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر: اعلم أن الصبر ضربان: أحدهما: ضرب بدني كتحمل المشاق...» إلخ.

بل من الملاحظ هنا في كلام ابن القيم في هذا الباب أنه استهلَّه وكأن القارئ يعرف تقسيمات الصبر التي يريدنا ابن القيم فقال: «لما

كان الصبر المحمود هو: الصبر النفساني الاختياري عن إجابة داعي الهوى...»، فكأنَّ القارىء يعرف أن هناك صبرًا ممدوحًا وآخر مذمومًا، ولم يسبق ذكر ذلك قبلُ، بل سيأتي ذكر هذا التقسيم بعد ذلك في الباب العاشر.

وكأنَّ القارىء عنده سابق علم أن هناك صبرًا نفسانيًا يقابله الصبر البدني، وهو ما سيذكره المصنف بعد ذلك في الباب الخامس.

وكأنَّ القارىء يعلم أن هناك صبرًا اختياريًا يقابله صبرٌ اضطراري، وهو ما سيذكره ابن القيم بعد ذلك في أبواب متفرقة: الباب الخامس والباب التاسع والباب الثالث عشر.

بينما نرى الغزالي مهَّد لذلك في هذا الموضع بأن ذكر هذه التقسيمات، وانطلق منها لبيان مراده، فكان ترتيبُ الغزالي أوجه وأكثر دقةً من ترتيب ابن القيم. والله تعالى أعلم.

* في الباب الرابع الذي عنوانه: «في الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة».

وقد سبقه الغزالي إلى بيان الفرق بين الصبر والتصبر في كتابه (٤/٥٩)، وما ذكره ابن القيم يتفق مع ما ذكره الغزالي من الفرق بينهما.

* وفي الباب الخامس وهو: «في أقسامه باعتبار محله».

ذكر ابن القيم فيه أن الصبر ضربان: بدني ونفساني، وأن كلاً منهما نوعان: اختياري واضطراري.

وقد أشار إلى ذلك الغزالي في كتابه (٤/٥٧، ٦٠، ٦١).

* وفي الباب السادس: «في بيان أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه ومقاومته لجيش الهوى وعجزه عنه».

قال ابن القيم فيه: «باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال . . .» ثم ذكرها.

والذي ذكره ابن القيم هو الذي ذكره الغزالي في الإحياء (٥٨/٤) حيث قال: «بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف: اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال . . .» ثم ذكرها، وهي عينها التي ذكرها ابن القيم في كتابه.

* الباب السابع الذي ترجمه ابن القيم بقوله: «في ذكر أقسامه باعتبار متعلقه».

ذكر ابن القيم في هذا الباب انقسام الصبر بذلك إلى ثلاثة أقسام:

١ - صبر على الأوامر والطاعات.

٢ - صبر عن المناهي والمخالفات.

٣ - صبر على الأقدار والأقضية.

وهذه الأقسام الثلاثة ذكرها الغزالي في كتابه؛ ففي (٦٠/٤) ذكر الصبر على الطاعة، وفي (٦١/٤) ذكر الصبر عن المعاصي، وفي (٦٢/٤) ذكر الصبر على الأقدار، وهو الذي سماه الغزالي بقوله: «القسم الثالث: ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره؛ كالمصائب، مثل: موت الأعزة . . .» إلخ.

* الباب الثامن الذي ذكره ابن القيم، وهو: «في انقسامه باعتبار

تعلق الأحكام الخمسة به» .

وانقسامه بهذا الاعتبار قد ذكره الغزالي في الإحياء (٥٩/٤) .

* الباب التاسع : «في بيان تفاوت درجات الصبر» .

ذكر ابن القيم اختلاف درجات الصبر، ورجّح أن الصبر الاختياري أكمل من الصبر الاضطراري .

وقد أشار الغزالي إلى اختلاف درجات الصبر في الإحياء (٤/٦٢، ٦٣) إلا أنه رجّح أن الصبر الاضطراري أكمل .

* وفي الباب العاشر الذي هو «في انقسام الصبر إلى محمود ومذموم» .

وذكر هذا التقسيم الغزالي في الإحياء (٤/٥٧، ٦٩) .

* وفي الباب الثاني عشر : «في الأسباب التي تعين على الصبر» .

ذكر ابن القيم أن ذلك بأمرين :

الأول : تضعيف الداء وباعث الشهوة .

الثاني : تقوية باعث الدين .

وهذان الأمران هما اللذان ذكرهما الغزالي في الإحياء

(٤/٦٥ - ٦٦) وترجم لذلك بقوله : «بيان دواء الصبر وما يُستعان به عليه» .

* وفي الباب الثالث عشر : الذي ترجمه ابن القيم بقوله : «في بيان

أشق الصبر على النفوس» .

وذكر الغزالي مراده ومضمون ما ذكره ابن القيم في الإحياء (٤/ ٦١).

* وفي الباب الخامس عشر: «في ذكر ما ورد في الصبر من نصوص الكتاب العزيز».

* والباب السادس عشر: «في ذكر ما ورد فيه من نصوص السنة».

* وفي الباب السابع عشر: في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم في فضيلة الصبر».

أقول: قد عقد الغزالي لذلك في الإحياء (٤/ ٥٢ - ٥٣) فصلاً ترجمه بقوله: «بيان فضيلة الصبر». ثم قال: «وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر في القرآن . . .» ثم ذكر شيئاً من ذلك.

ثم قال: «وأما الأخبار . . .» وذكر من الأحاديث النبوية.

ثم قال: «وأما الآثار . . .» وذكر ما تيسر له منها.

* الباب التاسع عشر: «في أن الصبر نصف الإيمان، وأن الإيمان نصفان: نصف صبرٍ ونصف شكر».

وقد بيّن ذلك الغزالي في الإحياء (٤/ ٥٦ - ٥٧)، حيث عقد لذلك فصلاً ترجمه بـ: «بيان كون الصبر نصف الإيمان».

* الباب العشرون إلى الباب الرابع والعشرين كلها في التنازع في الأفضل من الصبر والشكر والغني الشاكر والفقير الصابر وحجة كلٍ والترجيح.

وقد عقد الغزالي لذلك في الإحياء (٤/ ١١٥ - ١٢٠) فصلاً فقال: «بيان الأفضل من الصبر والشكر» وأشار في أثنائه إلى مسألة الغني الشاكر

والفقير الصابر .

* والباب الخامس والعشرون: «في بيان الأمور المضادة للصبر والمنافية له والقادحة فيه». ونحوه الباب الثامن عشر .

وقد أشار الغزالي إلى جزء كبير من مضمون هذين البابين في الإحياء (٦٣/٤) فقال: «فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع و . . .» إلخ، ثم قال: «ولا يخرج عن حدّ الصابرين توجع القلب . . .» .

* أما الباب الأخير، وهو الباب السادس والعشرون فقد سبقت الإشارة إليه في أول هذا المبحث .

وبعد هذه المقارنة بين كتاب (العدة) وكتاب الصبر والشكر من (الإحياء) يتبين لنا الارتباط والتشابه بين الكتابين في أصل فكرة الموضوع وعموم الأبواب، اللهم إلا في الباب الأول الذي تكلم فيه ابن القيم عن معنى الصبر لغة واشتقاق هذه الكلمة، والباب الحادي عشر الذي تكلم فيه ابن القيم عن الفرق بين صبر الكرام وصبر اللثام .

وبعد هذا العرض نخرج بنتيجة مهمة وهي استفادة ابن القيم من كتاب الغزالي، حيث جعل من كلامه أساساً لشجرة كبيرة كثيرة الفروع والأغصان، إذ إنه سقاها من عصارة علمه، وحرثها بسعة فقهه، ونقّحها بصحيح فكره .

فزاد ابن القيم على ما ذكره الغزالي فوائد عديدة، وتفريعات كثيرة، واستنباطات مهمة، وفوائد ونكات لم يتطرق إليها الغزالي، وأضاف أمثلة وتوضيحات ليكون لقارئه عُدّة في طريقه وسيره إلى الله والدار الآخرة .

فكان هذا الكتاب المهم «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» وهو بحجمه يقارب أربعة أضعاف ما كتبه الغزالي .

ولا تستطل أيها القارئ هذا المبحث فإنه من أكثر المباحث فائدة وجدة، إذ إن أكثر طلاب العلم لا يعلمون هذه الحقيقة .

ونسبة للفضل إلى أهله، فالذي نهني على استفادة ابن القيم من كتاب الغزالي هو فضيلة شياخي الدكتور محمد بن حسين الجيزاني، جزاه الله خيرًا وأجزل له المثوبة .

المبحث الثاني عشر : مختصراته والبحوث المستقلة منه :

إن الإمام ابن القيم لسعة علمه وكثرة اطلاعه وشمول معرفته وكثرة ما عنده من الفوائد كانت له سمة عامة في مؤلفاته هي الاستطراد والتوسع وكثرة الأدلة والوجوه ونحوها، كما قال في وصفه الحافظ ابن حجر: «وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف، وهو طويل النفس فيها يتعانى الإيضاح جهده، فيسهب جدًا»^(١) .

لذا فإن من السهل أن يجد من يريد اختصار كتاب ما من كتبه مُسوِّغًا له بسبب ذلك . أضف إلى ذلك أهمية كتبه وكثرة فائدتها .

وقد قام عدد من العلماء والأفاضل باختصار عدة الصابرين .

* فقام الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢) باختصار هذا الكتاب وسماه : السيف الباتر في يمين الصابر الشاكر^(٢) .

(١) الدرر الكامنة (٣/٤٠٢) .

(٢) انظر : فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير - صنعاء (٣/١٣٥٢) .

* وقام محمد مسلم الغنيمي بعرض المادة العلمية للكتاب مختصرة، لإبراز ابن القيم كأديب ومصلح^(١)، فجاء هذا العرض وكأنه اختصار لهذا الكتاب، والسياق الذي ذكره كله لابن القيم من لفظه مختصراً^(٢).

* كما قام أحد المعاصرين^(٣) باستلال جزء من الكتاب، وجعل ما استله في بحث مفرد بعنوان: «التفضيل بين الصبر والشكر»، وهو مأخوذ برمته من كتاب «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» إلا قليلاً.

المبحث الثالث عشر: طبعات الكتاب:

للكتاب عدة طبعات، وأول طبعة للكتاب كانت عام ١٣٤٠^(٤) في المطبعة السلفية على نفقة فهد بن علي الرشودي النجدي.

وبعدها طُبع عام ١٣٤٩هـ في المطبعة السلفية^(٥).

وتوالى الطبعات للكتاب بعد ذلك:

-
- (١) قال الغنيمي في خاتمة كتابه: «ابن القيم» ص ٤١٤: إن غرضه «إبراز شخصية ابن القيم كأديب ومرشد ومصلح اجتماعي».
 - (٢) انظر المصدر السابق ص ٣٠٢ - ٣٣٦.
 - (٣) هو الدكتور سالم بن محمد القرني، وقد نُشر في مجلة الحكمة، العدد الخامس والعشرين، عام ١٤٢٣هـ.
 - (٤) وذكر سر كيس في معجم المطبوعات العربية: ٢٢٤/١، والشيخ بكر أبو زيد في ابن قيم الجوزية (ص ٢٧٦) أنه طبع سنة ١٣٤١، مع ملاحظة اختلاف هذين المرجعين في الدار الطابعة له في تلك السنة.
 - (٥) انظر: ابن قيم الجوزية لبكر أبو زيد (ص ٢٧٦).

* ولعل من الطبقات المشهورة طبعة مكتبة المتنبي بالقاهرة، ضمن سلسلة مكتبة ابن القيم، وقد وُصفت في وقتها بأنها أكثر الطبقات تداولاً^(١).

* وطُبع في دار الكتاب العربي ببيروت عام ١٤٠٨هـ بتحقيق محمد عثمان الخشت.

* ومن طبقات الكتاب طبعة دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، عدة طبقات، بتحقيق محيي الدين ديب مستو.

* ومنها أيضاً طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق زكريا علي يوسف.

* ومنها طبعة دار الحديث - القاهرة، تحقيق عصام الدين الصباطي.

* ومنها طبعة دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، بتحقيق سليم بن عيد الهلالي.

* ومنها طبعة دار الحديث، القاهرة، بدون تحقيق، سنة ١٩٨٩م.
* ومنها طبعة مكتبة المعارف، الطائف.

* ومنها طبعة دار القلم، بيروت، ١٤٠٧هـ، تصحيح: محمد علي قطب.

وغيرها كثير.

(١) انظر: مقدمة محمد عثمان الخشت لعدة الصابرين ص ١٠.

المبحث الرابع عشر: نُسخ الكتاب الخطية:

لكتاب عدة الصابرين عدة نسخ، توفر لي منها أثناء التحقيق أربع نسخ خطية.

١ - نسخة كوبريلي بتركيا.

عدد أوراقها: ١٣٣ لوحة. نسخت عام: ٧٧٠هـ. وخطها نسخي جميل مشكول، وكُتبت الأبواب والفصول بالمداد الأحمر، وعلى هوامشها العديد من التصحيحات والاستدراكات وناسخها - كما في نهاية المخطوط - هو: محمد بن محمد بن محمد القرشي الباهي.

وهو: الشيخ الإمام محمد بن محمد بن محمد بن عبدالدائم الباهي المصري، نجم الدين الحنبلي، اشتغل كثيرًا وعني بالتحصيل، ودرّس وأفْتى، وكان عين الحنابلة بمصر وأفضلهم فيها وأحقهم في ولاية القضاء، توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثمانمائة^(١).

وقد أوقف هذه النسخة الوزير أبو الخير، كما هو مختوم عليها في عدة أماكن من الكتاب، وكُتبت فيه: «قد وقف هذه النسخة الوزير أبو الخير الحاج أحمد بن الوزير الأعظم الفاضل نعمان بن الوزير الأعظم العلامة الصدر الشهيد مصطفى بن الوزير الأعظم التحرير أبي عبدالله محمد عُرِفَ بكوبريلي أقال الله عثارهم».

(١) انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١٢٨/٢، والذيل التام على دول الإسلام للسخاوي ٤١١/١، وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٣٦/٤ - ١٣٧، وحسن المحاضرة للسيوطي ٤٨٣/١.

ومع أن هذه النسخة لم تسلم من الأخطاء والتصحيقات والسقط في عدة مواضع إلا إنني اتخذت هذه النسخة أصلاً لتحقيق الكتاب لقدم نسخها من جهة، فإنها قد نسخت سنة سبعين وسبعمئة. ولمنزلة ناسخها من جهة أخرى، ولأن النسخ الأخرى متأخرة جدًا عنها.

٢ - نسخة دار الكتب القومية بمصر

وهي محفوظة فيها برقم ٢١٥٩ تصوف.

عدد أوراقها: ١٥٣. نسخت عام ١٣١٣هـ.

ناسخها، كما جاء في نهاية المخطوط: «علقه... عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل عويد ضحوة السبت من شهر ذي القعدة سنة ١٣١٣ من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

وقد ترجم الشيخ عبدالله البسام له في كتابه علماء نجد فقال: «الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، ولد في مدينة بريدة، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم بها، كما أخذ العلم عن علمائها... وحصل واستفاد، وكان له خط جميل نير مضبوط، وكان عليه الوقار والسكينة مع لين الجانب، وكان ورعًا زاهدًا لا يأكل إلا من عمل يده في نسخ الكتب، فقد كتب عدة كتب كبار وصغار، وجلس للتدريس فانتفع كثير من الناس بعلمه، ومازال على حالته الحميدة حتى توفي عام ١٣٥٠هـ رحمه الله تعالى»^(١).

وقد رمزت لهذه النسخة بـ«م».

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٧٦/٣.

٣ - نسخة في مكتبة الملك فهد برقم ١/٢٢٣ .

عدد أوراقها : ١٢٤ ورقة في ٢٤٠ صفحة .

تاريخ نسخها : عام ١٢٩٩هـ .

ناسخها كما هو موجود في آخرها : «علقه لنفسه أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته ومغفرته : راشد بن عبدالله العنزي المهاجري» .

ولم أقف على من ترجم له . وعلى صفحة العنوان كتبت وقفية للكتاب بخط مغاير مؤرخة في سنة (١٣٠٧) بعد وفاة الناسخ لأنه ترحم عليه . وقد رمزت لهذه النسخة بـ«ن» .

٤ - نسخة جامع بريدة .

وعنها صورة في مكتبة الملك فهد برقم ١٧/ب ، عدد أوراقها : ١١٠ ورقات .

تاريخ نسخها : عام ١٣٣٧هـ .

ناسخها كما جاء في آخرها : «تم الكتاب المسمى بعدة الصابرين . . . بقلم الفقير إلى ربه القدير . . . محمد بن عبدالرحمن بن حوبان» .

والناسخ المذكور كان كاتبًا بديوان الملك عبدالعزيز آل سعود . وكان كثير التردد والاجتماع بعلماء بريدة . وقد رمزت لهذه النسخة بـ«ب» .

المبحث الخامس عشر : منهج العمل في الكتاب :

يمكن إجمال المنهج الذي سرت عليه في تحقيقي لهذا الكتاب في النقاط الآتية :

١ - اتخذتُ النسخة الأولى أصلاً وذلك لقدم نسخها من ناحية،
ولأن ناسخها إمام معروف .

٢ - جعلت النسخ الثلاث الأخرى نسخاً مساندة للنسخة الأصل،
وذلك لقرب عهد نسخها .

٣ - لم أعتنِ ببيان الفروق والأخطاء بين النسخ الثلاث المساندة ما
لم تخالف الأصل، وذلك لأن هذه النسخ الثلاث على ما يبدو ترجع إلى
أصل واحد لاتفاقها في كثير من المواضع، خاصة مواضع الكلمات
المشكلة .

٤ - أثبت كثيراً من القراءات للكلمات المحتملة في الحاشية، مع
كتابة ما ورد في النسخة الأصل في المتن، ما لم يثبت خطأها، فإني
أصحح الكلمة في المتن وأشير إلى ما وقع في الأصل في الحاشية .

٥ - عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع وضعها
داخل النص المحقق بين معقوفتين .

٦ - خرّجت الأحاديث والآثار الواردة في المتن تخريجاً مختصراً،
إن كان في الصحيحين أو أحدهما، أو السنن الأربعة فإني أكتفي
بتخريجه منها إلا إذا كان هناك فائدة من تخريجه من غيرها .

وما لم يكن في أحد الكتب الستة فإني أقوم بتخريجه من الكتب
المشهورة والأماة المعروفة تجنباً للإطالة إذا وجدته فيها، وإلا فإني
أخرجه من أي كتاب أو جزء حديثي وجدته .

٧ - بينت درجة الحديث صحة وضعفاً من خلال ما ذكره أهل العلم
المختصون بذلك .

٨ - نسبت الأبيات الشعرية إلى قائلها وخرجتها من الكتب المعتمدة
قدر الإمكان .

٩ - وثقت النصوص التي نقلها المؤلف من كتب من سبقه ما وجدت
إلى ذلك سبيلاً .

١٠ - ترجمت للأعلام غير المشهورين الواردين في الكتاب على وجه
الاختصار .

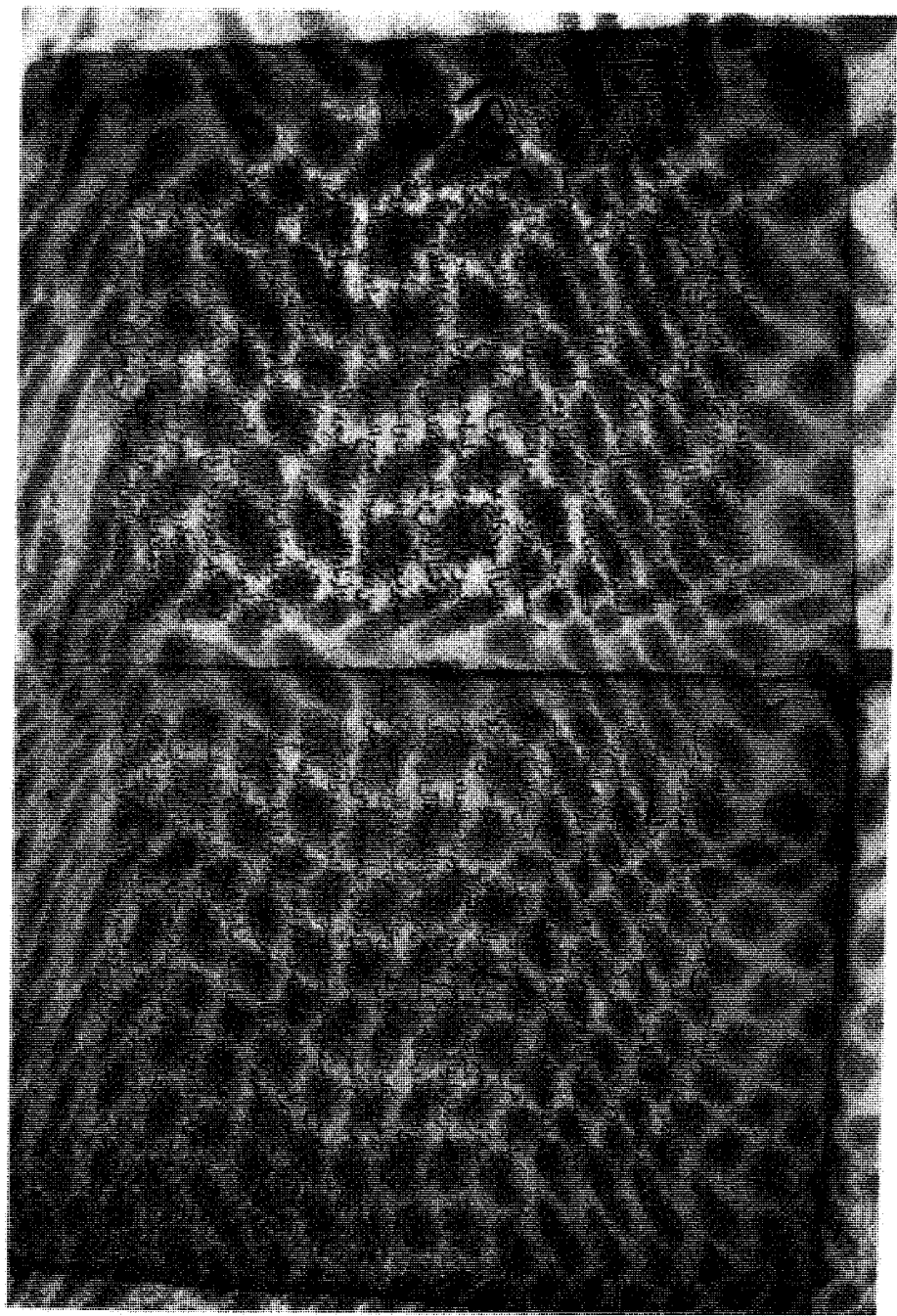
١١ - بيان بعض الكلمات الغريبة وتوضيحها .

وفي الختام أتوجه بالشكر لمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض على
إتاحة الفرصة لتصوير نسختي (ن، ب)، كما أشكر المشايخ الفضلاء الذين
راجعوا الكتاب على ملاحظاتهم القيمة التي كملت العمل وسدّته . وصلى
الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

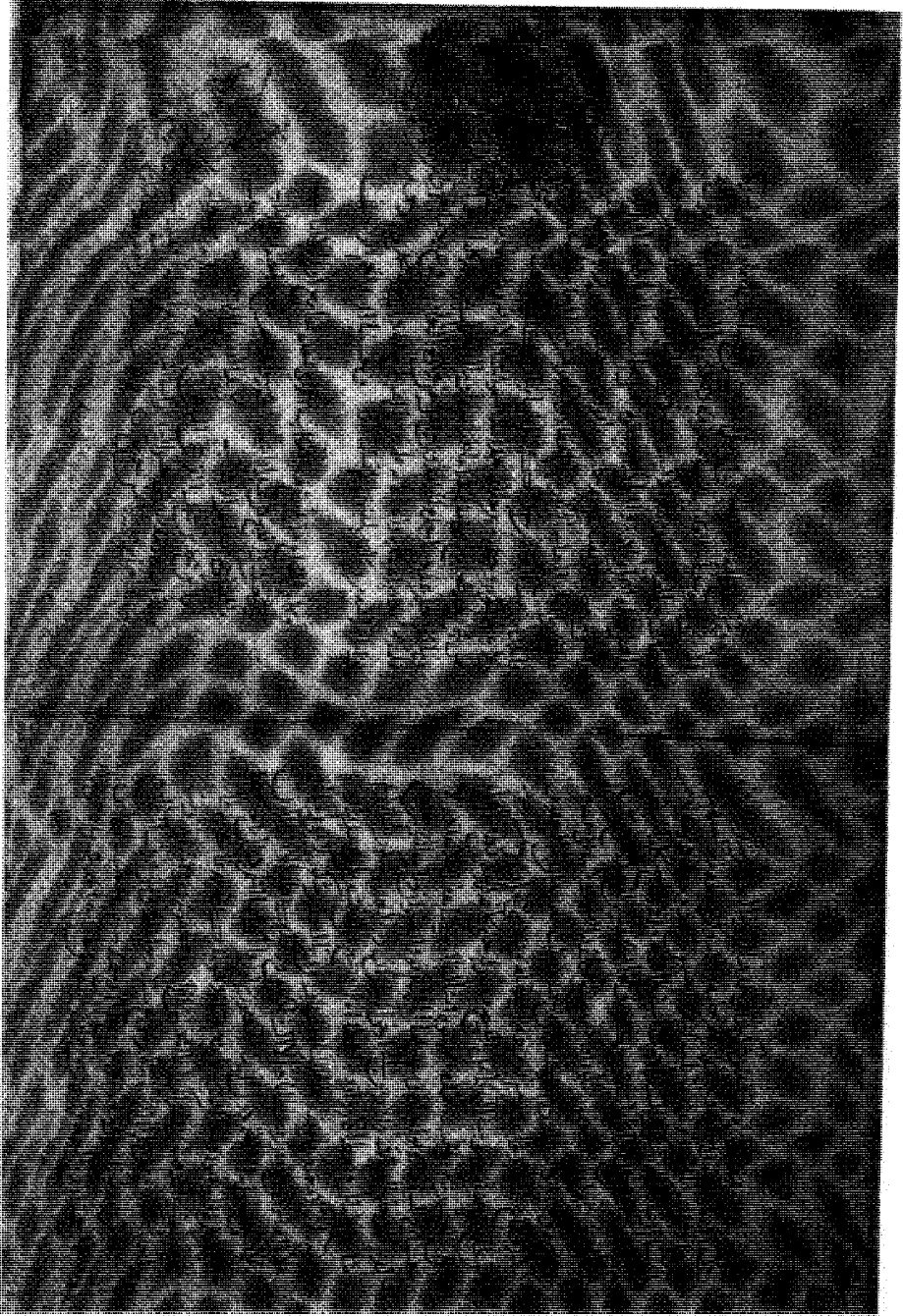
نماذج من النسخ الخطية



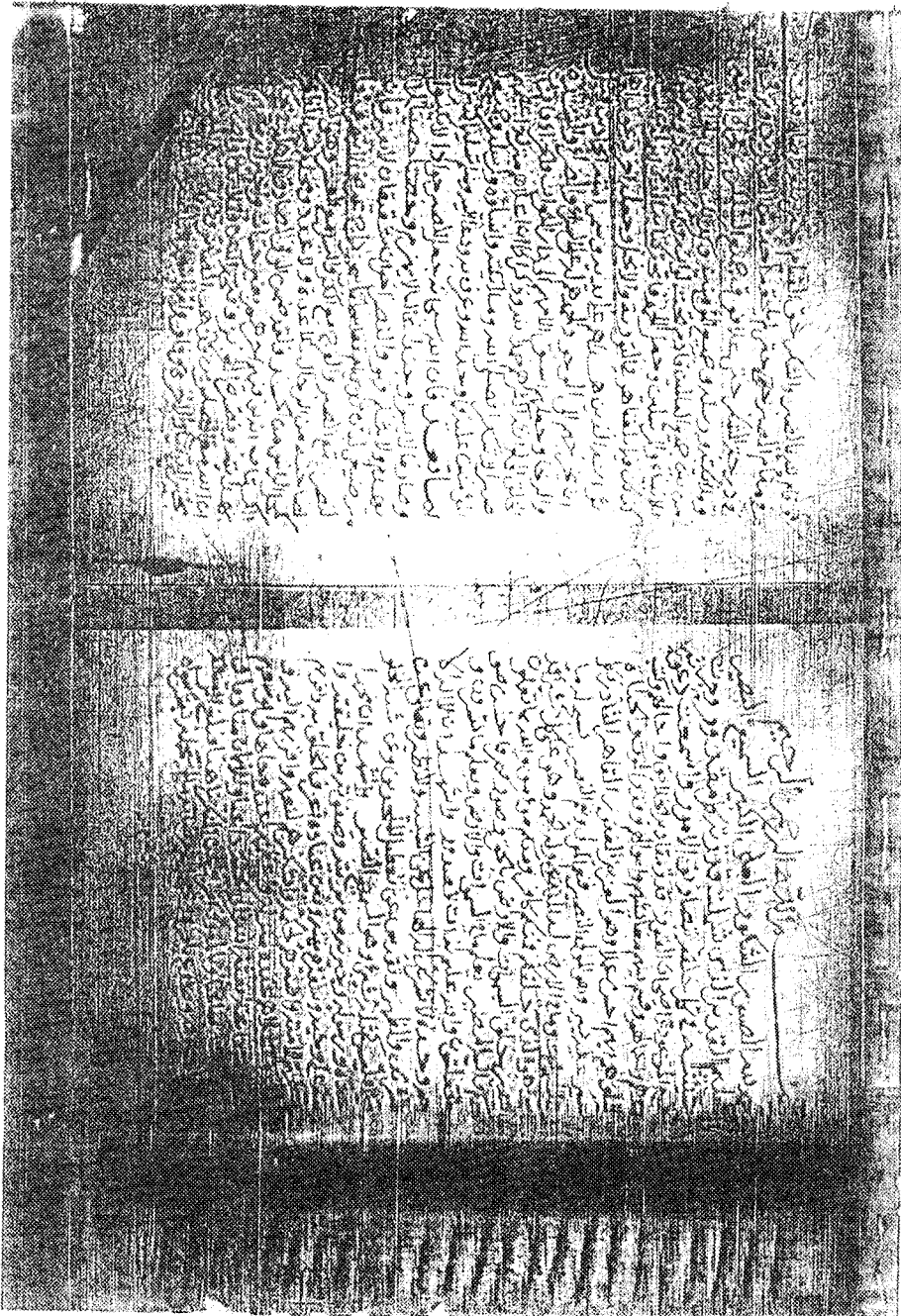
ورقة العنوان من نسخة تركيا (الأصل)



الورقة الأولى نسخة تركيا (الأصل)



الورقة الأخيرة نسخة تركيا (الأصل)



الورقة الأولى نسخة دار الكتب المصرية (م)

وبسببته الجاهل الذين تفرقت عنهم المروجين لم يعلموا على السر والظهور
 انشاء ولا ربحا في جهنم اسبق الامم الذين ارادوا ان يثروا في الدنيا فان ثروا في الآخرة
 لم يكن اكثرهم حكمة وكبريا ان اعزهم ثم تركوا اعظهم هموا وشكلوا فكل
 الله وطبقه في الدنيا ورسله وحججه وبركته عليهم السلام وعرفوا
 ويحيا اليه وسما شمل الكثر انما بعد فان الله سبحانه جعل الصبر حادا
 وتكفيها وصحابة الاشهاد وجعلنا عالما لا يعجز وحصنا حصينا لا يقدم
 ولا يتهم فهو الصبر خزان شغيقا لا يفتقر فان
 ورضي الله عندهم انفسها يا سجود ارجع عذرا يتعسف
 فالصبر مع الصبر والفرح مع الكرب والهوس مع الهوس وهو الصبر المصاح
 منه الرجال بلا عذر ولا عذر وحمله من الظفر كحل الارب من الحسد والفتنة
 ضمن الرعي في الصلاة لا هلهة في حرك الكفان ان يربو عليهم ارجع حساب
 والجهنم معهم هلهة في الصبر والعزيمه ونحوها الهية فقال الله واصبروا
 انه الله مع الصابرين في هبت الصابرين بعد ان القيت جبرائيل والخرقة
 وقاروا بها بنوعها انما حظها وانظما هوية وجعل جبرائيل في الجنة
 يوحى به بالبر والصبر في الآخرة ونحوها القديس في الجنة من وجعلنا منهم
 امة يعرفون ما من الصبر ان كانا يا نبي يوحى به ما من ان الصبر خير
 لا هلهة في كرك الالهية من الآخرة وليس صبر في خير الصابرين واخير
 ان مع الصبر والتفكير في صركم العفو ولو كان في الدنيا انما وان
 نصبروا ومنتقوا انفسهم شيئا من الله ما يكونوا راضين شيئا
 يوسف الصديق عليه السلام انك صبره في عاقبة ان وصلنا الى اخره في الجنة
 فقال الله ان الله يحب الصبر فان الله يرضيخ اجزا الصبرين وخلقنا الطواغيت بالصبر
 والاعقوبية في الجنة الكبرية من ان كانت انما الصابرين هو الصبر واما الصبر
 ولا يطول ولا يفتقر الله الى الصبر في كل شئ وانما الصبر في كل شئ انما
 تركها في الصبر في الآخرة انما الصبر في الصبرين وانما الصبر في كل شئ
 كل ما خير ما عليه هو الذي انما صبره في الآخرة وبشر الصابرين ان الله

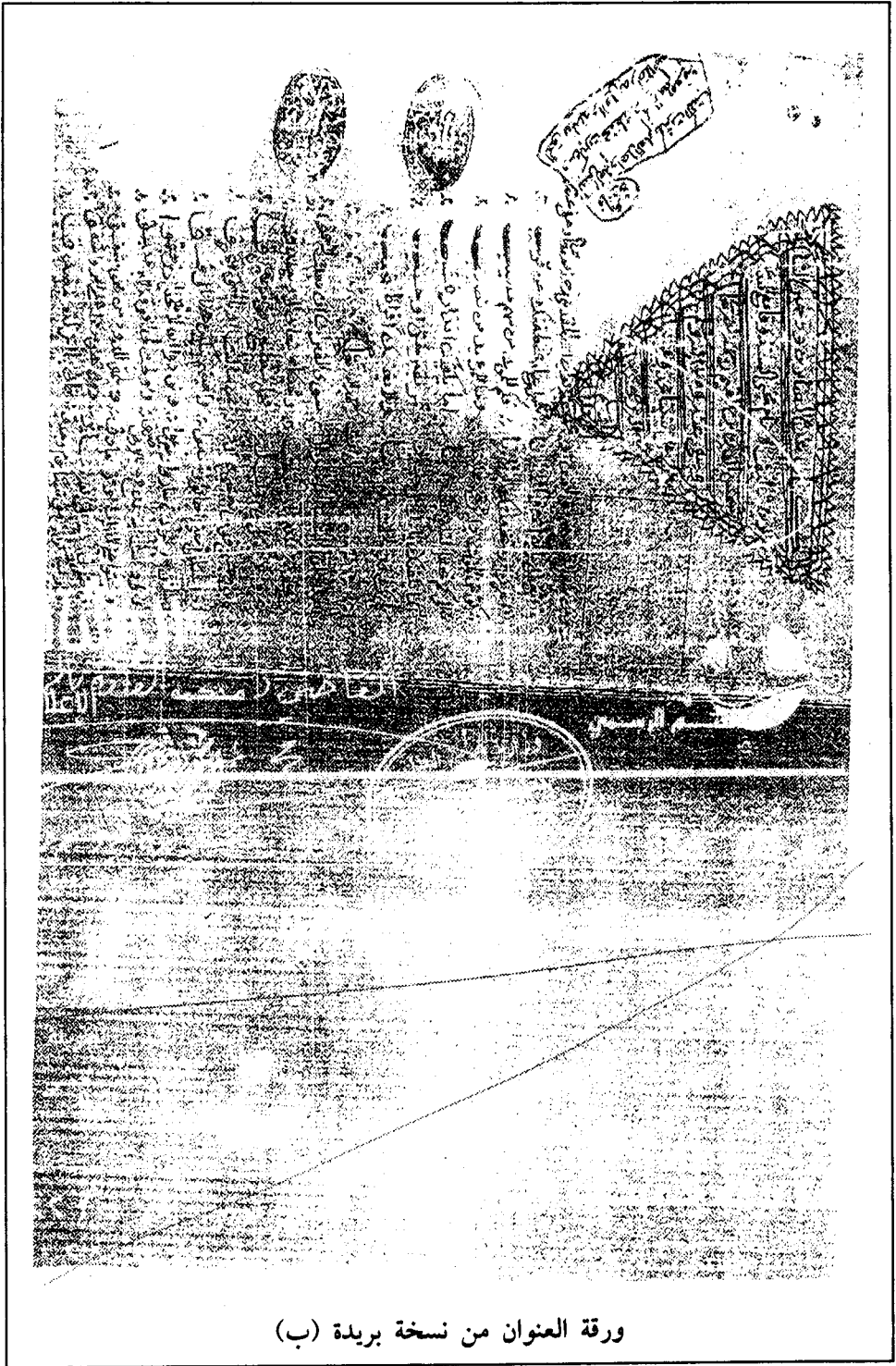
بشرا

الورقة الأولى نسخة مكتبة الملك فهد (ن)

بأشياء أخرى النفاق له
 كما الطريق إلى الجنة والى
 بغيره وهي درهما يظن
 حياحي إلى السكوة وقد عرفت
 في الهوى في النفاق يسيرا
 من بعد وقت الصلوة فما أكر
 فهو التي الصلوة العتي
 صاعده بغيره جلاله
 ما هي مشقة في سائر
 وقالوا في باب طاب ربي الله عند
 لكل اجتماع من كل من عرف
 والله الذي قبل الهيات قبلها
 والله الذي نطقها بعد
 دبر على الله لا من جليل
 وقال الشافعي رحمه الله تعالى
 ربه ما مال أو فراق حبيب
 وما هو إلا كمثل ما مضى
 وقالوا في باب طاب ربي الله عند
 انما العتي وان كل من النطق
 قالوا من نطق ربي الله ما مال
 فلو صرقت ربي الله ما مال
 ولا في التغيير صحت في الكلام
 اخطات ما هنت وقتها ما مال
 من يتكلم في حق تعاليت
 شفاعة ما عجز الكلام فمنا لا
 وارضى لا لا القوم يوسم على
 ولا تنته بيننا من ربحنا لا
 لولا ان ربه الذي في كفته
 لو وجدته سوى البرية حيا لا
 ان الله الذي هو الذي بها
 كسب الرضا له ما ربحنا لا
 في الساعات ان الابد فصحة
 وهي السليخ ان الابد فالا

انما اختراع عيوننا فان عيوننا قد اذرتنا على موصيفه وهو على كل شيء قدير
 في آخره فان لم يبرأنا الله جميعا في شيا من ايماننا الحسن انما انك في عيوننا
 ورحمته انه عطف على كل من من علم ان الله شكور متوكل في موافقته ومن
 عرف الله وسع العطف تنطق باننا لا نضع يده من علم ان رحمته سبقت
 غضبه لم يامن من رحمته ان ربه لا يغفر لذنوب من يعلق بضعفه من ربه ان
 اخذت يده حتى لا تخله عليه ومن سأل الله باسمه لا يغفر له ربه ومن
 احبه احب الله وصفاته وكان في شدة في الاله حيا في الغالب في
 معرفته في رحمته وكل الجوارح في التقرب اليه بظلمته والقيام بحسنه
 والالتفات في كراهة التذلل عليه بالوصاف مدحجته فانها تكلموا في ان
 دنه وانها كرهها لعلها لسه وانها طاعتها اهل كرامته وانها مفضة
 لا يتقبلهم من رحمته اننا نورا في رحمته وان لم يتبين في فهم لضعفه
 يتقبلها بالوع المصائب ليكفر عنهم ايماننا انهم من العاصين
 انهم عوقوا عقوبتهم وانهم لم يبروا الله رب العالمين من الكفر طمنا ساكنا
 فيه كليل ربا ويرى وكان يبيع للكرم وجهه وعز جلاله عزنا بغير
 السموات والارض وما بينهما وما بينهن من شئ اعلم وحسن الله
 على نبينا وحبيبا وجليلا حيا من الامم النبيين والامم النبيين وسواهم
 آدم جميعا وعلى اله واصحابه وعلى اله والاتباء والارسلين ورضي الله
 عن ائمة بعينهم باحسانا على خير الدين والاول والاقرة الابرار الله
 اعلم بالصواب وحسنا الله نعم الوكيل اع
 و
 عليه انفسنا فترجوا الله وان حرمهم الى رحمته ومغفرته
 لا تخشون عبيد الله العزى الى الهجرى حاسنا لله
 وحصلنا على بيته حملا وكذا في يوم الاحد
 ومن شعبان ابرارنا من شهر الحيرة

الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة الملك فهد (ن)



ورقة العنوان من نسخة بريدة (ب)

فهرسك الموضوعات

- ٥ - مقدمة المحقق
- ٧ المبحث الأول: اسم الكتاب وضبطه
- ٩ المبحث الثاني: تاريخ تأليف الكتاب
- ١٠ المبحث الثالث: إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه
- ١١ المبحث الرابع: أهمية الكتاب
- ١٣ المبحث الخامس: العلوم التي حواها الكتاب
- ١٥ المبحث السادس: مجمل ترتيب الكتاب
- ١٧ المبحث السابع: سمات الكتاب ومعالم منهجه
- ٢٠ المبحث الثامن: النقول من الكتاب
- ٢١ المبحث التاسع: الثناء على الكتاب
- ٢٣ المبحث العاشر: موارد ابن القيم في كتابه
- ٢٨ المبحث الحادي عشر: بين ابن القيم في (العدة) والغزالي في (الإحياء)
- ٣٦ المبحث الثاني عشر: مختصراته والبحوث المستلمة منه
- ٣٧ المبحث الثالث عشر: طبعات الكتاب
- ٣٩ المبحث الرابع عشر: نسخ الكتاب الخطية
- ٤١ المبحث الخامس عشر: منهج العمل في الكتاب